المنار

١٣١٥

مصر في يوم السبت ١٩ ربيع الثاني سنة ١٣١٧ الموافق ٢٦ اغسطس (آب) سنة ١٨٩٩

كلمة في الحجاب

من علامات الحياة الاجتماعية في الامة اهتمام أفرادها بما يقال ويكتب في شؤونها بحيث يرتاحون مما يرونه حسناً ونافعاً ويسعون في ايجاده او انمائه ان كان موجوداً وينفرون ممتعضين مما يرونه قبيحاً ومضراً ويجتهدون في ازالته واعدامه او التوقي منه اذا كان معدوماً يتوقع حدوثه . ولقد كنا نكتب في انتقاء العادات المضرة التي لوّنت بلون الدين والبدع القبيحة التي صبغت بصبغة الاسلام وأحب شيء الينا ان نقابل بالتأييد او التفنيد وانما كنا نسر بالتفنيد لانه يدل على وجود رمق من الحياة المعنوية في الامة تفند به من قبح لها ماتراه حسنا ولأن من يفند الحق لاعتقاده انه باطل لايلبث ان يؤيده متى تبين له انه الحق وليس ظهور الحقيقة على طالبها ببعيد

لم نر في مكتوب العصر كلاماً أثر في نفوس امتنا كالذي جاء في كتاب (تحرير المرأة) من بحث الحجاب . مسئلة أنطقت الالسن بالكلام . وأجرت في ميادين الجرائد جياد الاقلام وشغلت السامر والنادي . وتحدث بها الملاّح والحادي . وقد قلنا فيها كلمة عند تقريظ الكتاب ونقول الآن كلمة أخرى

غرض صاحب هذا الكتاب لا يمكن ان ينكره عليه عاقل عرف مكان أمته من الامم ووقف على حاجاتها وما يعيد اليها حياتها ألا وهو تربية المرأة لتكون كما قال انساناً يعقل ويريد وتعليمها مقداراً من العلوم الدينية والعقلية والادبية يمكنها به ادارة منزلها ويعد (عقلها لقبول الآراء السليمة وطرح الخرافات والاباطيل التي تفتك بعقول النساء) وأخذها بالفضائل التي يكون لها أثر في سعادة المنزل ثم في سعادة الامة. ومن أهمها ان يكون بينها وبين الرجل مشاكلة ومشابهة في الصفات النفسية والمدارك العقلية فتكون بين الزوجين منهما محبة حقيقية - محبة يكون منها نصيب العقل والنفس - لا يبعد من نصيب الوجدان والحس - وان امرأة لا تعرف لها شأنا من شؤون البشر الا انها خلقت لان تكون فراشا بعيدة من ان تحب او تحب محبة حقيقية من انسان ذي عقل وفضيلة ويستحيل ان يتربى ولدها وينتظم أمر منزلها فتكون عاملة في سعادة وطنها وترقية أمتها ويعتقد صاحب الكتاب ان هذه التربية التي لا بد منها تتوقف في حصولها أو في كمالها على مكالمة النساء اللائي يتعلمن ويتربين للرجال ومراجعتهن لهم في الاقوال ومبادلتهن اياهم الآراء. وقد علم ان اعتقاد قومه في الحجاب وعادة أهل الطبقة العليا والوسطى من اهل المدن فيه (وهم الذين يرجى منهم المبادرة الى التربية والتعليم) مانعان من قبول ما تتوقف عليه التربية والتعليم في اعتقاده ولذلك توسع في الكلام على الحجاب بما انتقدناه عليه في التقريظ وحاول ازالة الاعتقاد بما أورده من نصوص بعض الائمة في جواز النظر الى الوجه والكفين من المرأة واجتماعها بالرجال في غير خلوة بين أجنبي وأجنبية فقام الناس يحاربونه في هذه المسئلة النظرية بسلاح جماهير العلماء الذين رجحوا وجوب ستر الوجه والكفين الا في احوال مستثناة وردت في الشرع

كالاحرام والشهادة والتطبب . وملخص ما يمكن ان يجيب به هؤلاء ان المسئلة خلافية وان الاولى ان نرجح مافيه المصلحة والمنفعة ولا شك ان المصلحة هي في ما يمكن معه التربية والتعليم المحتاجة اليهما الأمة في نهوضها من الحضيض التي هي فيه فان سلم له المعارضون بانهما يتوقفان على كشف الوجه ومكالمة الرجال فلا مندوحة عن التسليم بترجيح القول بالكشف والمكالمة أو تقليد القائلين به او تخريجه على قاعدة (يرتكب اخف الضررين) اذ لا ريب ان ضرر شقاء الامة وتقدم سائر الامم عليها لا يدانيه ضرر احتمال وقوع الفتنة بكشف الوجه من بعض الناس . واذا لم يسلموا له بالتوقف فليكن البحث معه في بيان عدم التوقف لا في ايراد نصوص اللغويين والمفسرين التي لا ينكرها كما لا ينكر من أوردوها عليه ما جاء هو به من النصوص المعارضة لها وانما يتكلمون في الترجيح

والذي نراه نحن في المسئلة ان التربية والتعليم لا يتوقفان على كشف الوجه ولكنهما يتوقفان في كمالهما على مكالمة الرجال . ومبادلتهن الافكار والاقوال . وربما كان في الاقارب . غنية عن الاجانب . والنظر في المكالمة من ثلاثة وجوه (١) الواقع في الوجود (٢) . وقعها من نفوس الامة (٣) حكم الشرع . أما الاول فمن المشاهد ان نحو تسعين في المئة من المسلمات يكالمن الرجال جهراً ويشاركنهم في اعمالهم وهن نساء الفلاحين والاعراب وصنوف الفقراء الذين يشتغلون بالكسب ويقيمون في المساكن التي لا يتيسر معها الحجاب فهؤلاء قد حكمت عليهن بيئتهن (اي الوسط الذي يعشن فيه) بذلك وكلهن او جلهن لا يسترن الوجوه أيضا . وأما نساء المدن المحتجبات وقدرناهن بالعشر فمنهن تسع وتسعون في المئة (تقريباً) يجلن في الاسواق ويشترين من الرجال مايحتجن

اليه ويراجعنهم في القول ويتظلمن لرجال الحكم في المحاكم والدواوين وفي البيوت فالمرأة منهن تكلم الرجال في كل مكان ولو منفرداً الا في مشهد زوجها ووليها ولا اطيل في هذا المقام الشرح لان علم القراء به ربما كان أوسع من علمي . وواحدة منهن في المئة - أو واحدة في الالف من مجموع المسلمات - لا تخاطب من الرجال الا المحارم والخدم وبعض الاقربين من غيرهم اذا كانوا معها في دار واحدة كما هو الشأن في اكثر الأسر (العائلات) التي لها شأن وأنت ترى ان هذا الواقع غير مطابق لما يعتقده غالب المسلمين في الحجاب ولكنه وقع بحكم الزمان والمكان واحوال المعيشة فكان السبب فيه طبيعياً اجتماعياً فرضي به الناس من غير نكير . وأما موقع مكالمة النساء للرجال من نفوس الامة فلا شك ان كل رجل اعتاد اهله الحجاب تفعل روحه ويهيج وجدانه اذا هو تصور في نفسه دخول امرأته او بنته او اخته مجلسه مع اصدقائه وزائريه ومحادثتها له وهو معهم او مشاركتهم في الحديث وان كانت منتقبة اومتبرقعة وربما كان يعلم او يأذن لها بنزول السوق وابتياع اللبوس والحلي وغير ذلك . فهل ذلك الانفعال والهيجان من تصور محادثة اهله للرجال الكملة في مشهده وسماحه لهن او تساهله معهن بشراء ادوات الزينة من الرجال بانفرادهن متولد من الدين ام من العادة ؟ وهل الرد على قاسم بك امين والتنديد بكتابه (تحرير المرأة) من الانتصار للدين ام من الانتصار للهوى وحكم الوجدان ؟ . وأما الامر الثالث وهو حكم الشرع في هذه المكالمة فالمعروف ان الشرع انما حرم الخلوة بالمرأة الاجنبية واخبار الصدر الاول مستفيضة بمكالمة النساء للرجال وحديثهن معهم في الملأ دون الخلوة . وكفاك ان نساء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم - وهن اللائي امرن بالمبالغة

في الحجاب ـ يكن يحدثن الرجال حتى ان السيدة عائشة كانت قائدة عسكر ومدبرة له في وقعة الجمل المعروفة وما اخال ان مكابراً يقول انها لم تكن تكلم احداً منهم الا ذا محرم

وبالختام نقول ان هذه المسئلة من المسائل الاجتماعية التي لا يمكن ان تتغير الا بتغير احوال الامة الاجتماعية واننا نرى حركة التغيير تسوق الطبقة العليا وما يليها من الامة الى محاكاة الافرنج في اساليب معيشتهم وتمدنهم وان الحجاب ينهتك فيها بالتدريج فيعود الى تبذل بعيد من الدين ومذاهبه وقد دبت مبادئ هذا التفرنج الى بيوت الشيوخ ورجال الدين فظهرت بوادره في ازياء نسائهم ولا ندري ماذا تكون اواخره ـ هذا سير طبيعي لابد ان يبلغ مدى غاية حده الا اذا حوّلت مجاريه تحويلا طبيعيا فكان منعه الشريعة الاسلامية وقراره مصلحة الامة ومنفعتها وهذا مايطلبه كل ذي غيرة على ملته وأمته وما كتب فيه احد مثلما كتب الفاضل قاسم بك امين فلنساعده في عمله ولا يصدنا عن ذلك مخالفته لنا في بعض الجزئيات واعتقادنا خطأه في بعض المسائل فالعصمة انما هي لكتاب الله تعالى وحده (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً)

﴿ خاتمة ﴾

كتاب تحرير المرأة

تبين للقارئ مما سبق ان ما نريد ادخاله من الاصلاح في حالة النساء ينقسم الى قسمين ـ قسم يختص بالعادات وطرق المعاملة والتربية . والقسم الثاني يتعلق بدعوة اهل النظر في الشريعة الاسلامية والعارفين باحكامها الى مراعاة حاجات الامة الاسلامية وضروراتها فيما يختص بالنساء وان لا يقفوا عند